البنى الاجتماعيّة والثقافيّة للأمثال الشعبيّة العمانيّة

أ.د. حجت رسولي
و
سميرة جوكار،
طالبة دكتوراه

جامعة الشهيد
بهشتي- الجمهورية
الإسلامية الإيرانية

المُلخَّص:

إنَّ الأمثال الشعبية من أكثر الأشكال التعبيرية انتشاراً. وهي مرآة صافية تعكس أخلاق الأقوام والأمم وعاداتهم وقيمهم في تركيب موجز. تناقش هذه الدراسة ارتباط الأمثال الشعبية العمانية في نشأتها، ارتباطاً حسيّاً ومعنوياً بمجموعة من المعتقدات الشعبية، الناتجة عن الخبرة الحياتية للفرد، ضمن بيئته وظروفه المؤثرة. كما تهدف إلى بيان الخلفية القصصية لهذه الأمثال، وعلاقتها بحوادث تاريخيّة في نشأتها. ومصادر هذه الأمثال، مثل غيرها من الأمثال الشعبية عموماً، هي: المسلَّمات الدينية (القرآن والسنَّة النبوية)، والعادات والتقاليد الشعبيّة. وأظهرت الدراسة البنى الاجتماعية والثقافية التي نزعت عنها هذه الأمثال. وهي ترصد الحيوان و أفعاله، والطبقات الاجتماعية المختلفة، وأسماء البلدان والمدن. واتجهت الدّراسة إلى معالجة مادتها على شكل حقول دلالية ومجالات مفهومية لتسهيل معالجتها.

مقدّمـــة:

إنَّ الأعمـال الأدبيـة و الفنية تمثيـل للحياة، وتعبير عـن القيـم والمعايير، وانعكاس للحياة الفرديـة والجماعيـة. واليـوم، لا تدرس هذه الاعمـال، مـن حيـث الجوانـب الجماليـة فحسـب، بل من حيث أنهـا تعليق وشرح على تفاصيـل حياتنـا؛ لذا فـإن دراسـة الحكايات والقصص والأمثال والحكـم المأثورة للثقافات المختلفـة، تحيطنـا علمـاً بأفـكار أي مجتمـع ومعتقداته ورغباته. وتعرّفنا بالمؤشراتِ الثقافية والاجتماعيـة الخاصـة بالشعـوب المختلفـة. إنّ الأدب الشعبـي يُعَـدُّ حقـلاً علميـاً مستقلاً بذاتـه، ويحتـل مكانـة مهمـة في الدراسـات الفلكلوريـة؛ لأنّـه مـوروث ثقـافي لايمكـن الاستغناء عن مظاهـره. ويتضمن هذا الخطاب الشفـوي أشكالاً من التعبير الشفوي المتكامل، ويشمل: الحكاية والقصص والأغاني والألغاز، والأساطـير، والأحاجي، والنكـت، والحكم، والأمثـال الشعبيـة. والأدب الشعبـي «ذاكرة الشعب ووعيها الشفـوي المحكي والمرآة التي تعكـس بصدق الماضـي بكل ما ينطـوي عليه مـن تقاليد وعـادات إجتماعيـة وطقوس دينية ومشاعـر فرديـة و اجتماعيـة»[1]؛ لذلـك فإنَّ دراسة أحد أشكال التعبير والخطاب الشفوي، سيقـود إلى استكشـاف المظاهروالـدلالات الثقافية والاجتماعية للمجتمع.

إنَّ الأمثـال الشعبية تمثل شكلاً من الأدب الشعبـي، وتحمل في طياتهـا دلالات اجتماعية وثقافيـة عن مظاهر الحيـاة العامـة السائدة في المجتمـع. إنها المرآة العاكسـة لفلسفة الشعب وحكمتـه النابعـة مـن الواقـع الاجتماعـي. ويحفـظ أفراد المجتمع الأمثـال جيلا بعد جيل عـن طريق الروايـة الشفوية. يـرى أحمد أمين بأن المثل الشعبي: «نوع من أنواع الفنون الذى لاتكاد تخلو منه أمة من الأمم و أنها تنبع من كل طبقات الشعـب»[2]. ودراسة الأمثال والحكم الشعبيـة لأي جزء من عالمنا تعد مسألة ضرورية بالنسبـة لدارسي اللغة؛ لأنها مصدر غني لكثير مـن اللهجـات والصياغـات اللغويـة العربية، وأنها تعبّرعن أفـكار الشعوب وأحاسيسها، مما يتيـح للباحث المفكـر سبيلاً لاستقصـاء المنابع الأصليـة للجهد أوالعمـل الإنساني. والبحث في المثـل الشعبي إنما هو بحـث عن حياة العامة مـن الناس على اختلاف سلوكهم، وأخلاقهم، وعاداتهم؛ لأنّ المثل من خلال الجزئيات الدقيقة التـي يعرضهـا في تواضـع وهـدوء، يناقش، ويفسّر، ويعطي صورة حيّة عـن الجماعة التي يسري فيها. وبذلك يشـارك في توطيد العلاقة بين ماضي الأمة وحاضرها، وربط هذا الحاضر بالتطلّعـات المستقبليّة بطريقة ما. ونهج البحث لدراسة الأمثال الشعبية العربية العمانية لسببين؛ الأول: أن الثقافـة الشعبية في عمان ثريّة بتعدد لهجاتهـا لتشكّل ثقافة واحـدة، وهي جداول تصب في نهر واحد. والسبب الثاني: أن سلطنة عمـان «تنفرد بخصائص جغرافيـة وطبيعية، ساهمت فى حد ذاتهـا على عزلة شعب عمان

قروناً طويلةً، مما يجعل دراسة لهجاتها وأمثالها الشعبية قضية جديرة بالدراسة والاهتمام»[٣].

ولاحظ الباحثان أن الأمثال الشعبية العمانية، لم تنل بعد، حظها اللازم من الدراسة. وجلُّ ما دُرس من أمثال و أقوال مأثورة من هذه المنطقة، يندرج في هذه الدراسات: (الأمثال الشعبية العمانية واستثمارها في اللغة العربية) لإبراهيم البلوشي وفاطمة الحوسنية[٤]، و(من صور المرأة العمانية في أمثالها الشعبية) لنهى محمد دياب[٥]، ودراسة (لسانية سيميائيّة) لأحمد يوسف[٦].

وتهدف هذه الدراسة إلى كشف البنى الاجتماعية والثقافية التي تقدّمها الأمثال العمانية الشعبية عن المجتمع العماني. أما المنهج المتّبع في هذه الدارسة، فإن طبيعة الموضوع فرضت استخدام أكثر من منهج، والاستعانة بأسلوب تحليل المحتوى؛ لاستنباط الأسس الفكرية، واستخراج بنية القيم الموضوعية، إضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي لتحديد الأسس الفكرية. واعتمدت الدراسة على مؤلف ضخم صدر في أربعة أجزاء، وعنوانه (أقوال عمان لكل الأزمان) لمؤلفه خليفة بن عبدالله الحميدي[٧]. وبذلك يأمل الباحثان أن تكون هذه الدراسة منطلقاً لدراسات أخرى تبحث في موضوع الأدب الشعبي عامة، والأمثال الشعبية خاصة، لكل منطقة في سلطنة عمان. مع أمل أن يجد الباحثون في هذا الجهد شيئاً مفيداً يضاف إلى مكتبة الأدب الشعبي.

المبحث الأول:
نشأة الأمثال والحكم العمانية

أمثال كلّ أمة خلاصة تجاربها ومستودع خبراتها، ومثار حكمتها، ومرجع عاداتها، وسجل وقائعها، وترجمة أحوالها، ومصدر ثرائها، ومتنفس أحزانها، فهي مرآة الأمة تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح[٨]. وقد ارتبطت الأمثال والحكم العمانية في نشأتها ارتباطاً حسيّاً ومعنوياً بمجموعة من المعتقدات الشعبية الناتجة عن الخبرة الحياتية للفرد ضمن بيئته وظروفه الحياتية المؤثرة. وللمثل العماني خلفية قصصية يحضر المثل معبّراً عن فحواها. وقد ينشأ عن حادث تاريخي ومع الأيام تُنسى تلك القصص والحوادث والتلفيقات وتبقى الأمثال تدور على ألسنة الناس. ولم تكن الأمثال في نشأتها تلك اعتباطية، بل كانت تظهر لدواعي الحاجة إليها. كما يظهر في الأمثال العمانية التشبيه المعبّر عما يومي إليه المثل من معان. وفيما يأتي نماذج من تلك الأمثال:

أ. الأمثال الناتجة عن الخبرة الحرفية:

مارس أهل البحر في عمان حرفة الصيد، وخاضوا غمار عدة تجارب، وبرزت معرفتهم بالصيد في معيشتهم. فالصياد لايقبل أن تكون بين صيده صيدة متعفّنة؛ حتى لاتفسد بقية الأسماك الجيّدة. والمثل التالي نابع من تلك

التجربة. و يأتي في سياق التحذير من الفساد وأهل السوء:

– السَّمكة الخَايسَة تخيِّس ألف سَمكة[٩].

الخايسَة: المتعفّنة، الفاسدة. تخيِّس: تتلف وتفسد.

وعرف الفلاحون أن زراعة النخيل في المنطقة الجنوبية من البلاد – بسبب الطقس– غير مجدية، كما أن زراعة النارجيل في الشمال غير مجدية اقتصادياً للسبب ذاته، فقالوا:

– لاتَزرّع النَّارجيل في صحار، ولا الفَرْض في ظفار[١٠].

النارجيل: جوز الهند.
الفرض: نوع من التمور العمانيّة الجيّدة.

وهي نصيحة بالابتعاد عن سوء التصرّف أوالوقوع فيه.

ويفتخر العمانيون بالابل منذ القدم، وهي تحتل مكان الصدارة في أشعارهم وأمثالهم الشعبية. ويتنقلون في الصحراء الفسيحة بعونها في حلهم وترحالهم، وقطع الفيافي والصحارى القاحلة، وأدّى ذلك الى وجود رابطة راسخة تربط بين الراعي والأبل؛ حيث يعدُّ راعي الإبل إبله جزءًا من أسرته وأبنائه:

–لا حِنينش ولا ونينش... ولا طَنَّافٍ يهينِش[١١].

حنينش: حنينك. ونينش: أنينك. طَنّاف: راعي الإبل.

يدعو الراعي الله بدوام السعد على ناقته وأنه لاتتعرض لمكروه كالفراق فتعاني الحنين، ولامرض فتئنَّ من الألم، ولاراعي إبل أخرق يسيء معاملتها. وهذا القول ينتخي به الجمّالون ورعاة الإبل حين يعبّرون لنوقهم، إعتزازاً بها أو مواساةً لها، عندما يلاحظون أمراً ما عليها، كالحزن أوالتألم. وقد أصبح المثل يطلق على كثير من الأمور والمجالات المتشابهة كشكل من أشكال الدلال والنخوة.

ب. الأمثال الناتجة عن الخلفيّة الحكائيّة الخياليّة:

كانت الحكاية في صورتها الأولى مجرّد خبر أومجموعة من الأخبار التي تتصل بتجارب روحيّة نفسيّة عاشها الناس منذ القدم، وحرصوا على الاحتفاظ بها، ونقلها عبر الأجيال عن طريق الرواية الشفويّة. وترتبط الحكاية – معظم الأحيان– بالأساطير وحكايات البطولة التي تعطيها حيوية وجدّة[١٢].

وفي الأمثال الشعبية العمانية حكايات شعبية يجسد الخيال فيها أشياء لا وجود لها في الحقيقة، وتتداول دون طمس لهويّة الشيء المتخيّل اطلاقاً. وهي مصدر ناجع لدراسة الأفكار البدائية.

لاحظ الناس أن السنّور، كثير النجاة من المخاطر والمآزق حتى ادّعوا أنّ له سبعة أرواح،

واعتبروه مثلا للنجاة و طول العمر:

– السّنوَر بو سَبعَة رواح[١٣].

رواح: أرواح

وفسّر أهل قرية تُسمّى دنّ ظاهرة تغيّب فلجهم، الذي ينبع من جبل، بين يوم وآخر، وعدم انتظام جريانه بصورة مستمرة كبقية الأفلاج، بمنع الجن له ومشاركتهم له مع الأهالي. هذا القول تولّد من معتقداتهم الخرافيّة. ولايقتصر على هذا الفلج، بل يقال في تصرّفات الشخص المتقلّب في الأراء والسلوك:

–فلَج دَن يومْ حالنا ويوم حالجِن [١٤].

دَن: اسم قرية. حَلجِن: حال الجن، أي للجن.

وتقول حكاية معروفة أن الثعلب دعا يوماً صديقه اللقلق إلى وليمة في داره بقصد السخرية. فلبّى اللقلق الدعوة. ووقع في خديعة صديقه الثعلب إذ عاد منها جائعاً وناقماً. وبعد أيام قدّم اللقلق الدعوة لصديقه الثعلب لينتقم لنفسه منه، فاستجاب الثعلب للدعوة وناله الثأر، وصار الحدث مثلاً شعبياً:

–عَزيمة لِحصيني لِلْقُلق[١٥].

عزيمة: وليمة. لِحصيني: الحصيني وهو الثعلب.
اللقلق: طائر ذو منقار طويل.

ج. الأمثال الناشئة عن حادث:

تعدّ الأمثال الشعبية أكثر أنواع الأدب الشعبي قدرة على حفظ وحمل الأحداث الماضية؛ فهي وعاء تصب فيه هذه الحوادث، وتصطبغ بطابع تمثيلي، والحفاظ عليها بالتداول والتناقل مشافهة، جيلاً بعد جيل. ومن هذه الأمثال:

–قاروت العالي إذا هَبَط الفَلَج قالِت حالي[١٦].

قاروت العالي: قرية في ولاية إزكي.
هبط: نزل.

يشاع أن أهل هذه القرية أكثروا من الاستحواذ على مصدر الماء و الادّعاء بأحقيتهم له، فكلما دار موعد الفلج للآخرين، ادّعوا أنه لهم. وهذا ما مكّن الناس من اعتبار القرية مثلاً في الادّعاء وفرض الهيمنة.

– كما قصّاب نزوى[١٧].

هذا المثل قد نشأ من حادث. يحكى أنّ شخصاً أعطى قصّاباً نزوانياً عجلاً ليذبحه ويوّزع لحمه صدقة. لكنّه بدل أن يقوم بتوزيع لحم العجل، قام ببيعه لحسابه الخاص، وادّعى أنه خسر خسارة كبيرة في العجل، وأنّ السكاكين التي ذبح بها العجل قد تحطّمت. وأصبح ذلك الجزار وفعله مثلاً بين الناس[١٨].

د. الأمثال الناشئة عن تشبيه:

ويقوم على أساس المشابهة بين أمرين: سابق ولاحق. وتظهر في الأمثال الكثير من التشبيهات المعبّرة تعبيراً مؤثراً عما تومي إليه. وهذا النوع غالباً ما يكون في الأمثال الشعبية العمانية لقصد الهجاء والنقد. وإن أرادوا أن يوضّحوا حال متعب وذي مظهر سيء شبهوه بمن يخرج أو يقدم من مقبرة:

– كما بو طالع من المُقْبَرَه[١٩].

المُقبَرَه: المْقْبَرة

تُعرف حركة زفّة العروس ببطئها وتثاقلها الشديد. فهي وإن كانت مستحبة من قبل الزافين لما فيها من بهجة وسرور غامر، فإنها ثقيلة على العريس الذي يترجّى عروسه بفارغ الصبر. انبثق هذا المثل لذم المتباطئين في أعمالهم:

– كما بويرَتّع عَروس[٢٠].

يرتّع: يمشي ببطء.

وثمة مثل آخر ينعت كلّ من يبذل جهداً أو يقوم بعمل لا طائل منه، أو يجادل في أمر مستحيل، بمن يذرع بحراً، فهو لن يتمكن من قياس مسافات البحر، أوعمقه، أوأبعاده بذراعه:

– كما بويذرَع بحَر[٢١].

المبحث الثاني
الأسس الفكرية للأمثال والحكم العمانيّة

إنّ أمثال وحكم أي مجتمع، سواء شعبية أم غيرشعبية، يستحيل تَحَقُّقُها ما لم تكن متغذّية من مناهل فكرية. والأمثال والحكم الشعبية العمانية امتاحت من المناهل الفكريّة التي ارتبطت بها ارتباطاً حسيّاً ومعنويّاً. وأبرز هذه المناهل: المسلّمات الدينية؛ وأهمّها القرآن والسنّة النبويّة، والعادات والتقاليد الشعبيّة في المجتمع.

أ. المناهل القرآنيّة:

لقد أتم الله نعمته على الناس بالبعثة المحمدية؛ على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، فجاء القرآن لتربية القلوب مع النفوس والعقول. فربّى وعلّم وأدّب بكافة الطرق والأساليب التي تتناسب مع الاختلافات البشرية، حيث بيّن التوجيه القرآني الفائدة من اتخاذ الحكم وضرب الأمثال، في تربية مفاهيم تدل على معتقدات المسلم التي شرعها الله له، وأمر عباده باتّباعها في مواقف الحياة المختلفة. وتختزل الأمثال العمانية قيماً قرآنية تجاه مواقف مختلفة. ومن هذه الأمثال:

– شِدَّة و تهون[٢٢].

قد يتعرض الإنسان لشدة و عسر حال، أو وضع يهدد مصيره، لكنّه إن صبر وتحمّل وقاوم، سينال أجره. قال ﷻ: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ (الانشراح:٦).

– كِل حَد ذَنبَه عَلى جَنبه[٢٣].

حد: أحد

ذلك باعتبار أنَّ كل إنسان مدرك لمصلحته، فيجب رفض التدخل في شؤون غيره، وهذا ينهمر عن قوله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾ (المدثر:٣٨).

– كل شَيطان و لُه مِكعام[٢٤].

مكعام: ضد، مرجام.

أرسل الله النيازك و الشهب على الشياطين وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ (الملك:٥).

ب. قيم السنّة النبوية:

تُصنع المجتمعات المسلمة حكمها وأمثالها على أسس التعاليم الإسلامية و النبوية. وتزن تصرفات الأفراد بميزان الأخلاق؛ إذ تحثّ على فضيلة من الفضائل، أوتنهي عن رذيلة من الرذائل. وجاءت الأمثال الشعبية العمانية وعاء تصب فيها هذه التعاليم؛ فلا نكاد نجد أمثالاً ما تخالف هذه السنن، أو تبتعد عن منهجها. ولهذه الأمثال دور كبير في بناء شخصية المتعلم، وتوجيه سلوكه. منها مسألة الجوار التي تكون من العلاقات الضرورية في المجتمع، فقد تُقدّم أحياناً على صلة القرابة؛ بحكم القرب والتعامل والتعاون:

– عليك بِالجار و لَو جار[٢٥].

جار: ظلم

ويؤكد ذلك النبي ﷺ بقوله: ((من آذى جاره فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله))[٢٦].

والزواج رباط مقدّس، وفطرة إنسانية، ومصلحة اجتماعية للمحافظة على النوع البشري وعلى الإنسان. وهو سكن روحي ونفسي يبدأ باختيار الزوجة الصالحة. فالمرأة المطيعة لزوجها المحبة له هي المرشح الأفضل لتربية الجيل تربية صالحة نافعة. و طاعة الزوجة لزوجها خصلة محمودة تتوافق مع خصال المجتمع العماني:

– عليك بلبنت لِمطيعَه[٢٧].

بلبنت: بالبنت.لِمطيعَه: المطيعة.

وقد أكد النبي الكريم ﷺ على الزوجة الصالحة، لمّا قال إنّها خيرمتاع الدنيا؛ ((الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))[٢٨].

واحـترام كبار السـن و توقيرهم فـي المجتمع، وتقديم الأكبر على من هو أصغر منه، دليل على رقـيّ المجتمع، وتمسّكـه بإسلامـه. ونجد هذه الميزة فـي الأمثال العمانية التـي تعدّ عدم طاعة الكبار خسران لما هو خير:

– اللي مايسمع كبيره...ينقَل خيرَه[٢٩].

وهذا كلام أخلاقي تفرضه تعاليم السنَّة النبويَّة: ((منْ لمْ يَعرِف حقَّ كبيرِنا فليس منَّا))[٣٠].

ج. العادات والتقاليد الشعبية:

مـا الجملـة المثَلية سـوى تعبير عـن العادات والتقاليـد والأعراف، لأدق حياة الإنسان على مرّ العصور. والمثل بحكـم كونه نابعاً من واقع البيئة فإنه ينتشر فيها، ويسري بين أفراد المجتمع كمـا تسري النار في الهشيـم. من هذا المنطلق، فإن المثـل الشعبـي بإمكانـه أن «يـؤدي دوراً مميـزاً في إبراز القيـم الاجتماعيـة والاقتصادية في المجتمـع، فمن خلال تداولـه يسعى العامة إلى تعميـق معاييرهـم الأخلاقيـة، وعاداتهـم وتقاليدهم ونظرتهـم إلى الأمور، لذلك كانت الأمثال دالّة على الـتراث الحضاري»[٣١]. وقد رصدنا عـدداً من العـادات والتقاليـد الشعبية العمانية من خلال الأمثال و الحكم.

–مايعاف العُود..إلّا المَقرود[٣٢].

يعاف: يرفض.

جـرت العادات الاجتماعية فـي عمان على أن يُطيّـب الناس في أفراحهم ومناسباتهم السعيدة بالعـود؛ أجمـل أنـواع البخـور والعطـور. ولايُرفضُ العود إلّا لجهل وسـوء تصرف وقلة ذوق.

– المَخَتِّن مايسمَع طَبِل ولا تفَق[٣٣].

وللختـان كذلك عـاداتٌ معروفةٌ فـي عُمان. وكانـت تقوم بعملية الختان للصبية والفتيان فئة متخصصـة. والمُختِّن يحاط أثناء قيامه بالعملية، بمجموعة من الناس يضربون الطبول ويطلقون العيـارات النارية في الهـواء؛ إبتهاجاً بالمناسبة. وفي أثنائهـا يركّـز المختـتن لأداء العملية بمهارة وسرعـة فائقة؛ لذلـك لايعير بالاً لمـا يقرع من طبول أويطلق من نيران البنادق في الهواء.

–القَهوةَ لَهوَة[٣٤].

القهـوة ترمز للضيافة الجيّدة. وفي عُمان جرت العادة أنَّ من يقدم على أحد لايخرج من بيته إلا وقد شـرب القهوة، وتعني هذه ضيافة مصغَّرة. وهي تحتـاج إلى شيء من الوقـت الذي يفضّل البعض استثمـاره واستغلاله فيما هـو أنفع من الاستغراق في انتظار شرب قهوة.

المبحث الثالث:
أُسس بنى الأمثال العمانية

في هـذا الجزء مـن البحث نغوص في أعماق الذاكرة الشعبيَّة لأهل عمان؛ لننتقي أهم الأبعاد التي تمتاز الأمثال الشعبية العمانية باختزالها من حيـث البنى، ورصد صـور الحيـوان وأفعاله، والطبقات الاجتماعيّة المختلفة، وأسماء البلدان والمدن.

أ. صور الحيوان:

تعـدّ الحيوانـات والطيور من أبـرز مكونات الأمثال الشعبية العربية العمانية باعتبارها عنصرا مهما فى البيئة الصحراوية أوالريفية.

– لَو صقَر..صقَر فدَاره[٣٥].

صقَر:طائـر معـروف يستخـدم فـى أغراض الصيد. فدَاره: في داره

يضـرب المثـل في ضعيف الحيلة الـذي لا يتقن عمل أيّ شيء.

–لَحَم بوش...يطابخه ماه[٣٦].

بوش: جمال. ماه: ماؤه.

يقال هذا للاعتـداد بالشيء والتعويل عليه دون توجس خيفة منه أوعليه.

–فاتك لحم شاتك[٣٧].

يقال هذا المثل كمواسـاة للذي لم يدرك مطلبه، كأن يصـل متأخراً، و تكـون حاجته التي يريد قد نفدت.

– سَنّور مَطبَخ[٣٨].

لو أن كل القطط عاشت على المطابخ لأصبحت عالة ومشكلة في الحيـاة، وانعدم نفعها. وعلى ذي اللـب أن يعتبر، إذ إنّ سنـور المطبخ يعرف من أين تؤكل الكتف، دون أن يقدّم ما ينفع.

ب. صور الطبيعة:

الأمثـال الشعبية العمانية لم تترك شيئا من البيئة الطبيعيـة إلا وتناولتـه، فقالت عنـه، وتحدّثت حوله بالكثير مـن الأمثال التي تناقلتها الأجيال رسائـل للاحقين. وأسهم تعـدد جغرافيا عمان في ثـراء الأمثال ودقتها في التعبـير عن الأرض الممتدة مـن البحر إلى الصحـراء، وإلى سلاسل الجبال:

– كُل ما طلَعنا مِن سيح هبَطنا فوادي[٣٩].

كل ما: كلما. سيح: صحراء.

يعنـي أننـا ننتقـل من أرض مقفـرة إلى مكان سحيق، كالذي يعيش فى دوامة، ويتخبَّط فيها، ويحاول الخروج من مأزق فيقع فى آخر.

– ما يصَلّى عَلى البَحَرَ إلّا حيتانَه[٤٠].

قد لايهتم بالبحر أحد أكثر مما تهتم به حيتانه؛ لأن فيه حياتها ورزقها ومعاشها ومسكنها، فهو في درجة من الاهتمام لايضاهيه شئ. والبحر عظيم ولا يستطيع الاهتمام به سوى العظماء كالحيتان العظيمة. ويستنتج من المثل درجة الشعور بالمسؤولية على كبار القوم.

– لاتداقِل بحشاشتك جبَل[٤١].

لاتداقِل: لاتدفع، حشاشيتك: ناصيتك وجبينك.

المعنى المباشر للمثل هو أنه على الإنسان ألّا يضع نفسه في عداء لمن هم أقوى منه، فما من شأن ذلك إلّا التحطّم.

ج. الطبقات الاجتماعية المختلفة:

إنَّ المثل جملة استوعبت حكمة الشعب، ونظرته لطبيعة التصرّفات الإنسانية. وعلى هذا الأساس فالأمثال الشعبيّة تشمل جميع فئات الشعب، وليست حكراً على طبقة خاصة. وهي أفضل الشواهد التي تراكمت فيها طبقات الشعوب المختلفة وتصرفاتها بكلّ تنوعاتها وتناقضاتها. وهي مخزون تراثي تقوم بدور الموجّه لسلوك أفراد المجتمع. وفي الأمثال الشعبية العمانية نجد الطبقات المتعددة مثل: القاضي والسارق والغنيّ والفقير.

–الشّاكي جنيبي والقاضي مَحروقي[٤٢].

جنيبي: من قبيلة الجنيبة، محروقي: من قبيلة المحاريق.

الشاكي والقاضي من قبيلتين حلفين. وحسب سياق المثل فإنهما سيكونان طرفاً واحداً في القضية، نظرا للترابط والتعاطف القائم بينهما، الأمر الذى سيكون ضد الطرف الآخر وعدم انصافه، مهما كان محقاً في القضية و الدعوى.

– فاضل اللُّص حَلبَصير[٤٣].

فاضل: باقي، حلبصير: حال البصير.

ما يبقيه اللص من المال يذهب إلى الشخص الحكيم. بمعنى أن هذا المال ذاهب، تالف، ولا فائدة ترجى منه، ولا أمل فيه. والمعنى أن مال الشخص عديم التدبير سيفوز به الآخرون. ويضرب فيمن يتخذ جهود الآخرين سلماً لنجاحه، فهذا شريك في الاختلاس سواء كان اختلاساً ماديّاً أو معنويّاً.

–لِغنى غنى النّفوس...موغنى لِفلوس[٤٤].

لِغنى: الغنى، الثراء.

غني النفس، مهما كان فقيراً، يبقى عزيزاً بكرامته. و ليس عيباً أن يعيش الإنسان فقيراً، إنما العيب أن يكون غنيا دون كرامة. ويستخدم أمواله في إيذاء الناس.

–الفَقير مالُه أب يحاسِب عَنّه[٤٥].

الفقر كالفشل لا أب له، والغنى كالنجاح له ألف أب وأب. الأب هنا يعني السند والحامى، ولا يعْني أن الفقير مقطوع من شجرة، كما يقال. وكم هو مسكين الفقير، لا يهتم الناس به ولا يكترثون!!

د. أسماء البلدان والمدن:

الأمثال الشعبية بما تشمله من عادات وتقاليد وتراث، موسوعة كبيرة تحمل في طياتها دلالات مختلفة من عالمنا الحاضر. وتدوّن، كالأطلس الجغرافي، العديد من أسماء المدن والبلاد لعالمنا:

– ماحَد فى الشّام غير غَشّام[٤٦].

قد يوجد شخص يُعتدّ به، ولايوجد من يماثله فى صفاته و سلوكه؛ مما يتيح له إذاعة صيته وشهرته. ويضرب هذا القول فى أحيان أخرى على سبيل الاستهانة بالشخص المدّعي المغرور الذي يرى فى نفسه إمكانات خارقة لايمتلكها آخرون سواه.

– لاتداقل الدّولَه بوزار شيرازي[٤٧].

لاتداقل: لاتناطح، لاتدفع، لاتزاحم، ويعني أن الإنسان متواضع القدرات. وعليه ألّا يضع نفسه متحدّياً للدولة التي هي بثبات الجبل وصلابته؛ فليس من شأن ذلك إلا التحطّم.

– عمان كِلّها دروب[٤٨].

إنّ بلاد عمان عرفت بكثرة مسالكها، وتعدد طرقها، وتيسر سبل الانتقال والتواصل فيها. وهذا دليل على عدم صعوبة الحياة في هذا البلد الطيب.

– قَبضة البّيت ولا سَفرة بِنجالَه[٤٩].

بنجال: البنجال، بنجلاديش.

إنّ حُسن إدارة البيت خير ألف مرة من السفر إلى بنجلاديش أوغيرها من بلاد الدنيا.

المبحث الرابع:
البنى الموضوعية

إنّ فكرة المجال المفهومي عند العرب ماثلة في تلك الرسائل الموضوعية التي ألّفوها، التي تناولت: الحيوانات، والأنواء، وغيرها من الموجودات التي يسهل فهمها عندما ترد في مجموعات متجانسة تخرج المعجم من كونه كيساً من الأسماء المكدّسة، وتنقله إلى مفهوم ارتباط اللغة بالوعي الثقافي والحضاري. يقول صلاح الدين زرال: «غير أننا حين نتناول هذه الظاهرة، فإن أول ما يجلب انتباهنا في وعينا الثقافي ذاك التشابه الكبير بين نظرية الحقول الدلاليّة والتنصنيف الموضوعيّ عند العرب»[٥٠]. يسعى البحث إلى تصنيف هذه

الأمثال في شكل حقول دلالية، أو مجالات مفهومية لتصبح قريبة من الدارسين الذين يتصدون للبحث والتحليل، وجعلها في شكل موضوعات تنتظم في صورة مجالات حسب المعنى أو المضمون الظاهر للمثل.

١. الحقل الاجتماعي:

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه؛ إذ لا يمكنه العيش إلا ضمن الجماعة، التي تحكمها مجموعة من الضوابط مثل الدين، والأعراف، والتقاليد، والتي بدورها توجه العلاقات داخل الجماعة البشرية، كالزواج والضيافة والقرابة والرحم.

أ. الزواج و العلاقات الزوجية:

إن العلاقة الزوجية ليست علاقة طارئة ولا مرحلية، وإنما هي علاقة دائمة وشركة متواصلة للقيام بأعباء الحياة المادية والروحية. وهي أساس تكوين الأسرة، كما أنها مفترق الطرق لتحقيق السعادة أو التعاسة للزوج وللزوجة وللأبناء وللمجتمع؛ لذا ينبغي على الرجل أن يختار من تضمن له سعادته في الدنيا والآخرة. والمجتمع العماني بعقليته الشعبية يعطي أهمية كبرى لمسألة الزواج واختيار الزوجة الصالحة لتكوين الأسرة، والتأكيد على أهمية حسن إدارة الرجل لبيته وزوجته:

– لاتأخذ حنّانَة..ولا مَنّانَة[٥١].

حَنّانَة: كثيرة الحنين إلى ماضيها، كأن تكون أرملة أومطلقة.

مَنّانَة: متمننة، متعالية، بما لديها من مال أوجاه أوغير ذلك.

– المَرَه مِن رِجّالها..والخيل مِن خَيّالها[٥٢].

المَرَه: المرأة، رِجّالِها: زوجها، خيّالها: فارسها.

إنَّ العلاقة بين هذه الأطراف علاقة وثيقة ولها تأثير متجاذب متبادل، فحسن العلاقة بين الزوجين له الأثر الإيجابي على استمرار الحياة الزوجية. والمثل يعطي للرجل السلطة الأعلى في إدارة البيت.

ب. المرأة في المخيال الاجتماعي الشعبي:

النّساء هنّ مادة التاريخ الأوليّة؛ لأنهن نصف النوع البشري. ومنهن المشهورات اللاتي أهدين المؤرخين صور وجوههن وسجلات حياتهن. ومنهن جمهرة الفضليات وغير المشهورات. وقد اعتدنا أن نتصوّر أنّ الرجال هم الذين تقدموا بالمدنية، وأن النساء وراءهم يقمن بشؤون البيت، ويأتين بالأولاد إلى العالم، وهذا التصوّر أيده التاريخ الذي أخذ به في الماضي، ولايزال يأخذ به الآن[٥٣]. ومهما يكن من الأمر فإن حضور المرأة في الحياة الاجتماعية شيء حتمي، بل محوري، وهذا ما جعل الأمثال الشعبية تتناولها بمساحة شاسعة، فمرة تصفها عاملة للنسل والإنجاب، وأخرى بالمكر، و ثالثة بنفي المشورة عنها.

– المَرَه خَصفَه[٥٤].

خَصفَه: وعاء سعفي يحفظ فيه التمر.

يشبه البعض المرأة بوعاء يحفظ فيه الزاد؛ وذلك لنظرتهم إليها بأنها وعاء للنسل والإنجاب فقط.

–المره حيلها..فلسانها[٥٥].

ولعل هذه النظرة السلبية تطارد المرأة في كثير من الأمثال الشعبية التي ترد على سبيل التحذير منها، والخوف من مكرها وكيدها المخبوء تحت لسانها.

–شورَه حال مَرتَه[٥٦].

هـذا المثل وما سبقـه ينبثق من اعتقـاد الناس فى المجتمعات الشرقية القائـم على مبدأ سيادة الرجل وقوامته فى البيت. وأنه على المرأة – التي يعتقد الأخرون أنها لن تكون قادرة على اتخاذ قـرار حاسـم للمواقـف الصعبة؛ نظـراً لتغلّب الجانب العاطفي عندها– التسليم للرجل.

ج. الضيافة:

الضيافـة والكرم من المظاهـر الملازمة للعقلية الشعبية. وهي طبع إنساني عام. لكنّ المبالغة في الكـرم صفة ملازمة للعرب. هذا يعني ارتباطه بالعـرب أوثق من غيرهم. وإكـرام الضيف من الشيـم اللصيقة بالمجتمع العماني التي تدل على نبل أخلاقه، وتمسكه بعاداته وتقاليده.

– مابعد العُود... قعود[٥٧].

مـن العـادات العربيـة الأصيلة إكـرام الضيف بتبخيره بما لدى مضيفـه من الأنواع الجيدة من البخور، كالعود. وعمان التي اشتهرت على مر العصور بأنها بلاد البخور واللبان تأصلت فيها هذه العـادة، وأصبحت إشارة لإنهـاء مراسيم الحفل أواللقاء.

– المَشرُوك..مَبروك[٥٨].

ويفـرح العمانيون كثيراً إذا نـزل ضيف عليهم أثناء تناولهم الطعام وشاركهم فيه. وهذا القول تأكيد على الإهتمام بالضيافة.

د. القرابة والرحم:

القرابـة من أهـم العلاقـات الاجتماعية التي لا غنـى للإنسـان عنهـا، فهـي الأسـرة، وهي العائلة الممتـدة بأصولها، وفصولها، وأطرافها. والأمثال الشعبيـة في عمومها تتناول موضوع الرحم. وهناك أمثال تنقل صورة العلاقات بين الأقارب في المجتمع العماني:

– اللّـي مايفزَع بِـولاد عمّـه ... ماتنفعهَ باقي الطّوايف[٥٩].

اللّـي: الذي، يفـزَع: يقـوى، يستعين، بولاد: بأولاد.

يؤكد المثل علـى الترابط وتقوية صلات الرحم. وأن أبناء العمومة هم الذخر والسند في الملمات.

– الظّفار مايطلَع ملحَم[٦٠].

الظّفار: الظفر، ملحَم: من اللحم.

إنّـه من الصعوبـة أن ينزع الظفـر من اللحم، فكلاهما متصـل اتصالا وثيقاً وقويـاً بالآخر. وفصلهما عـن بعضهما لا يكـون طبيعياً، وإن حـدث ذلـك فلايحـدث إلا عن قسـر. وهذا تأكيد على وضع الأهل والأقارب واستحالة أن ينفصل الإنسان عنهم.

٢. الحقل الأخلاقي:

مثلمـا تحتكـم الجماعـة الشعبيـة إلى الديـن والأعـراف فإنها تضع كل تصرفاتها وحركاتها وسكناتهـا في ميـزان الأخـلاق، فـكل ما هو حميـد مدحتـه ومجّدته، أمـا القبيـح فتنفر منه وتبتعد عنه. جـاء في المعجم العربـي الأساسي لتعريـف الأخـلاق، بأنّها: «مجمـوع الصفات والأعمال التي يتصف بهـا الإنسان، فتوصف بالحسـن أو القبـح، وتشمل العـادات والقيم، وتختلف باختلاف الظروف»[٦١].

والقناعـة هـي الرضا بمـا قسـم الله ولو كان قليـلاً، وعدم التطلّع إلى مـا في أيدي الآخرين، وهي علامة على صدق الإيمان. والطمع مرض نفسـي، له آثـار مزعجة، تجعل المـرء يتكدّر في عيشه. والطمـاع دائماً في همّ وغـمّ من جرّاء مـا يراه عند الناس، يريـد الحصول عليه. وتجرّه هـذه الصفـة إلى بغض الآخريـن ومعاداتهم، وتجعلـه محتـالاً ليسلبهـم ما طمـع في الحصول عليه. وموضوع القناعـة والطمع كغيرهما من المواضيـع الأخـرى تناولتهما الأمثـال الشعبية العمانية، ومن ذلك:

– قنَع تِشبَع[٦٢].

– القناعَة مِنَ الشَّبعَه[٦٣].

هـذان المثلان يؤكدان أهميـة القناعة. والقناعة مبدأ العفة لدى النفس البشرية الطيبة.

– شالِنّه وادي وِيصيح عَطشان[٦٤].

شالِنّه: أخذه، حمله.

في هـذا المثـل صـورة بليغة للطمـع و الطامع. والراغـب فى المزيـد وإن كان أغنـى الأغنياء. فالطامع هنا كالذى يأخذه الوادي، لكنه لايزال يصيح بالعطش والرغبة فى المزيد.

– مَعَ الطَّمّاعَه..ماشي جماعَه[٦٥].

يعرض هـذا المثـل الطمع فى صـورة سيئة، وغـير مرغوبة. صورة تؤكد أن صاحب الطمع والجشـع بغيض وكريه، تعاملاً و خلقاً وسمعة؛ ولذلك هو منبوذ مـن الجماعة والناس. ويطلق الكـرم علـى كل مـا يحمـد مـن أنـواع الخير والشرف والجود والعطاء والإنفاق. ومن أسماء الله الحسنـى وصفاتـه أنه الكـريم. والبخل هو الشح والتقتير. والمسلم الحقيقي لايتصف بهذه الصفة؛ لأنها خلق ذميم، يبغضه الله ﷻ والناس أجمعـون. و كثير من الأمثـال الشعبيّة العمانيّة

تحذّر من هذه الخصلة الذميمة، وتعرضها في العديد من الأمثلة، منها:

– شَحيح عَلَيها خَلِي مِنها[٦٦].

ينعت هذا المثل كثيراً من الناس الذين ألهتهم الدنيا بمغرياتها ومكاسبها ومطامعها فصاروا يبخلون حتى على أنفسهم وأهلهم بأهم الحقوق. ثم إنه سيغادر هذه الدنيا خالي الوفاض.

– لِعشار مادُّر[٦٧].

لعشار: العشار، الحامل، مادّر: ماتدر، لا تعطي لبناً.

الأنثى الحامل قد يكون بثدييها بعض الحليب، لكنه في الغالب لايكون بنفس المواصفات السليمة، ويكون قليلاً جداً. ولهذا تعدُّ الحامل العشار حلوباً بالقدر الكافي والمطلوب فقط. وهذا ينطبق على البخيل، ويقال لكلّ من يشح بالشيء أويكون عليه ضنيناً.

٣. الحقل التربوي والتعليمي:

منْ خصائص المثل الشعبي عموماً أنه ذو طابع تعليمي تربوي تتقبله النفس البشرية بطواعية كبيرة؛ لما فيه من ليونة وانسيابية، مما يسهل حفظه والعمل به. ويعرّف التعليم بأنه «اكتساب العادات والخبرات والمعلومات والأفكار التي يحصلها الفرد بعد ولادته عن طريق احتكاكه وتفاعله مع البيئة المادية، والاجتماعية التي يعيش فيها»[٦٨]. فالتربية والتعليم من الوظائف الأساسية للأمثال الشعبية؛ لذا يصعب حصر الأمثال التي حملت هذه الوظيفة، وإنّما ستُذكر مجموعة منها للتمثيل والتدليل، مع محاولة تصنيفها وتبويبها. ولا تتأتى الخبرة للفرد إلا بعد تجارب متعددة، وهذا يحتاج إلى عامل الزمن. ومن غير المنطقي أن نتصوّر حكيماً أو فيلسوفاً في سن العشرين؛ لذلك على الإنسان أن يبقى على درب التعلّم طوال حياته، وأن يتعلّم كلّ ما يمكنه أن يتعلّمه من خبرات وفنون وآداب، منها الحثّ على الصبر، والتحذير من تصديق الكذب، وأن يجتهد الإنسان لاختيار الأفضل.

– اللي تَحت الرَّحى .. يُصبُر عَلى تجرجارها[٦٩].

تجرجارها: دورانها وماتحدثه من إزعاج ومتاعب.

تقتضي ظروف الحياة أن يُبلى الإنسان بالمحن، وعليه أن يصبر، ويتجلّد ففي ذلك مفتاح الفرج. وعليه أن يبدي ما استطاع من ألوان المقاومة الفعّالة ليخرج من ورطته.

– لاتصدِّق الكَذّاب..ولَو قالَ الصَّحيح[٧٠].

الكذب سلوك قبيح. والكذّاب شخص ذميم بغيض. كلّ ما فيه يدعو لكراهيته ومقته. وهذا القول لايخلو من المبالغة في إسداء النصح، وإن كان الحذر من مغبة الكذب ملزماً.

– اللّلى ما سلَك برِجلِينه...ما تحَنقَل على عينه[٧١].

يعني أن الإنسان الذى لايسعى بنفسه إلى شيء فلن يتمكن من تحقيق رغبته فى اختيار الأفضل والأنسب. ولا تصدر النصيحة إلاّ عن مجرّب للحياة عارف بمكنوناتها. والحكماء الشعبيون هم من خبراء الحياة، عرفوا خباياها؛ لأنهم يعيشون بين طبقات الشعب، وينتقلون من مكان إلى مكان، وهذا ما يزيد من رصيدهم المعرفي، ومقدرتهم على التعامل مع المواقف ومعالجتها باستعمال المثل الشعبي كوسيلة يسهل تقبّلها من طرف المتلقي.

– اللّي ما يِفَكّر في العَواقِب..مالَه في الدَّهر صاحِب[٧٢].

يؤكد المثل على ضرورة اهتمام الإنسان بأمور المستقبل كاهتمامه بشؤون الحاضر. وعليه أن يلتزم في تصرفاته ويحسّنها بما يضمن له مردوداً إيجابياً، ولا ينفّر أصدقاءه منه.

– فِصيانَة الّسان...سلامَة الإنسان[٧٣].

ينصح هذا المثل المتعلمَ بحفظ اللسان، ففي حفظ اللسان كرامة الإنسان.

– كلامك ما مَسموع..سكوتك أولى[٧٤].

الصمت من علامات البلاغة حين لاينفع الكلام، أو لا تكن له آذان تصغي إليه. وهو في ذات الوقت حكمة تدل على رجاحة العقل، وعلى ما يتمتع به صاحبه من سمات الأدب والفهم. ومن صفات الفرد الناجح في المجتمع أن يكون حذراً فطناً. وهذه من صفات المؤمن، فلا ينبغي أن يكون خدّاعًا غدّارًا، ولكن ينبغي أن يكون يقظاً حتى لايقع في شباك الماكرين من الناس. وقد تناولت الأمثال الشعبية العمانية هذه الجزئية بشيء من الإسهاب، من ذلك:

– لا تِفتَح باب...يِغلِبَك شَدَّه[٧٥].

على الإنسان أن يتجنّب كلّ شيء لا يمكنه السيطرة عليه، أو الرجوع عنه، أو يدفعه للمجازفة، أو التورط، أو الإحراج الذي يكلّفه ثمناً أوعناء هو في غنى عنه.

– لادام الحَرام..ولا دام صاحبَه[٧٦].

مهما كانت أنواع الحرام من سرقة أو غش أو ربا، أو مصاحبة الأشرار، والتعامل معهم فى المجالات غير المشروعة كالتهريب وغيره فإن مآل ذلك إلى الخسران المبين، والنتائج الوخيمة التي تعصف بالحرام و صاحبه ومكاسبه.

–لايِغرك الشَّرِنجبان...لَو بانَت ريحَته[٧٧].

لايِغرّك: لايخدعك، الشَّرِنجبان: شجر له زهر جميل وثمره كالليمون لكنه شديد المرارة.

يحذر هذا القول من الوقوع في خداع المظهر أوالشكل الذى يخالف حقيقة الجوهر، أو

الأخذ بالكلام المعسول المعبّر عن التملّق.

والثقافة من أصعب المصطلحات تعريفاً؛ لأنها تتصل باللغة والفكر، وأساليب الحياة، وطرق العيش. ولا يكفي الفرد أن يكتسب مجموعة من المعارف والعلوم ليقال عنه بأنه مثقف، بل تلزمه المعرفة بالعادات والقيم و الأعراف الاجتماعية، مع قدرة فائقة على التحليل والتعامل مع هذه الأمور جميعاً. ويعرّف علي عبد الرزاق حلبي الثقافة بأنها: «أسلوب حياة المجتمع»[٧٨]. فالثقافة تتمظهر في كل شيء من حياة المجتمعات. وهي تأتي بمظاهر شتى في الأمثال الشعبية العمانية، منها العلاقات الاجتماعية. فقد وصفت الأمثال العلاقات الاجتماعية المتعددة بإسهاب كبير يصعب حصره، ومن أمثلتها قولهم:

– لاتعاشِر بو ماتعَرفلّه سجاياه[٧٩].

تعَرفلّه: تعرف له.

العشرة درجة متقدّمة من العلاقات الإنسانية. وهي لا تأتي إلا بالثقة المتبادلة. وهذه العلاقة تبدأ بالتعرّف، و فيه درجة من التحفظ وإذا ما تعمقت المعرفة وتوثقت الصلة كانت العشرة والصداقة والمودة.

وقالوا عن المداراة التي تحصل بين الناس، ويعتبرونها نصف العقل:

– مداراة النّاس..نِص العَقِل[٨٠].

تعرف الكلاب بقوة تماسكها وتضامنها في وجه الأعداء ومواجهة الأخطار. وينعت بذلك الناس الذين يتكاثفون، ويتضامنون قلباً وقالباً في الموقف والرأي والكلمة والفعل:

– عِصبة كلاب[٨١].

٤. العادات والمظاهر:

ومن الطبيعي أن تدل عادات الفرد ومظاهره على ثقافته وأسلوب حياته؛ لأنها تظهر للآخرين، وإن حاول إخفاءها. والإنسان كائن اجتماعي بطبعه؛ إذ لا بد له من الاحتكاك بالآخرين. وتتصف هذه المظاهر بالحسن والقبح، وقد تناولتها الأمثال الشعبية في مساحة واسعة للحثّ والترغيب في الحسن منها، ولتعرية القبيح، والنهي عن الإتيان به. ومن العادات الحسنة التي رغّبت فيها الأمثال الشعبية العمانية، أنه إذا حضر شخص و كان الناس يتناولون الطعام فعليه مشاركتهم الطعام، حتى إذا ما انتهوا من تناول الطعام صافحهم، أويؤجل الدخول عليهم حتى اكمالهم تناول الطعام:

–لا سلام...عَلى طَعام[٨٢] .

المقصود هنا بالسلام المصافحة التي تتعارض مع طبيعة تناول الطعام؛ إذ إن الناس عادة يأكلون باليد اليمنى التي يصافحون بها. وفي معرض

الدعـوة الحسنـة للمشاركـة في تنـاول الطعام قالوا:

– عَمتِك تحبِك[٨٣].

عَمتك: حماتك.

و ذلك حين يقدم أحـد على أحد، وهو يتناول وجبـة شهيـة، ولم يكملهـا بعدُ، فيقـول الثاني للأول هذا القـول، إشارة، بل دعوة للمشاركة إلى ما يتناوله من طعام.

أمـا العـادات والمظاهر السيئة التـي نهت عنها الأمثال الشعبيـة العمانية، أونفَّرت منها فكثيرة تنبو عن العد، ومنُها الحسد، فقالوا:

– لَولا الحَسَد..ما مات أَحَد[٨٤].

ومـن الصفـات الذميمـة التـي حـذرت منها الأمثال الشعبية سوء الظن والشك:

– لَولا السّهنَه...ما خلقِت نار وجَنّه[٨٥].

السّهنَه: سوء الظن والشك.

والمثـل يشدّد على مخاطر الغـيرة، وعاقبة السوء الوخيمة التي يجب على الإنسان تجنبها.

والطعام فرع من فروع التراث الشعبي. وتكمن أهمية هذا الجزء من الدراسة في محاولاته كشف دلالـة الطعـام الاجتماعيـة وانعكاسهـا علـى أنـواع من السلوكات و القيـم الاجتماعية «إذ إنـه من الخطـأ أن ننظر إلى الأمثـال على أساس أنّهـا مجرّد شـكل من أشـكال الفولكلـور، أو مستند(أوتوغرافي) خاصـ بأحوال الشعوب، إنمـا هي في الواقع عمل كلامـي يدعو بقوة إلى التحـرّك. وهـو في اعتقاد الذيـن يصدر عنهم هـذا الكلام يؤدي إلى أقوى أنـواع التأثير على مجرى الأمور، وعلى السلوك الإنساني»[٨٦].

يهتم المجتمع العماني أيّما اهتمام بصحة الفرد، وعملـه، وهذا مـا يعكسه فى أمثالـه التي تبث قوانـين ترتبـط بالغذاء. ولا تغفل هـذه الأمثال أيضاً الحماية الوقائيّة من مخاطر الأغذية. منها:

– لَبَن الشَّاه ولَحم الشَّاه..لاتتعَشَّاه[٨٧].

المعنـى المباشر للمثل هو أن لـبن الشاة أو لحمها يكون هزيـلاً. ويقصد بالشـاة العنزة العجوز. وبذلك يكون غير مفضّل تناوله عشاء؛ فالعشاء يجب أن يكون عادة وجبة خفيفة.

– كُل من الرّويد ولَو عويد[٨٨].

الرويد: الفجل الصغير.

فهـذا تأكيد على أهمية تنـاول الفجل أوالرويد غذاءً جيداً للإنسـان. وهي نصيحة طبية مثبتة. والرويد غذاء نافع للإنسان والحيوان.

– قَهوَة الضّحى أخيَر مِن ذَلول[٨٩].

يفضل شراب القهوة في أولها؛ لأن أولها يتمتع بنقـاء أكثر من آخرها الممتزج بالبقايا. والعكس

في تناول الحساء أو المرقة، لأنّ البقايا المترسبة في القدر أفيد لما به من اللحم والخضار.

وبعد هذا التصنيف الموضوعاتي للأمثال الشعبية حسب الحقول الدلالية، أو المجالات المفاهيمية، فإنّ عامل الدقة قد يكون مهتزاً؛ لأن هذا العمل هو مقاربة تحاول وضع الأمثال الشعبية داخل دوائر حسب تداولها على أفواه الناس، وذلك بتتبع السياقات التي وردت فيها. لكن هذه الدوائر غالبا ما تتقاطع؛ لأن كثيراً من الأمثال تصلح أن تستعمل في أكثر من سياق. وهذا أمر يأتي –في الأساس– من مرونة المثل وصلاحيته لأكثر من موقف. والمثل الذي يرد في الحقل الثقافي، مثلاً، يحمل قيمة أخلاقية، وأخرى دينية، وثالثة تعليمية، فهو بهذا يصلح أن يرد في الحقول جميعاً، دون أن يخلّ ذلك بالتصنيف الذي اعتمده البحث.

خاتمة

❁ إنّ الأدب الشعبي هو مجمل الفنون القولية التلقائية، انتقلت بلغة عامية من جيل إلى جيل، وبشكل شفاهي. وهي تعبير عن تفاعل الإنسان مع الطبيعة ومع الإنسان، فيكون الأدب الشعبي تتويجا لخبرات الإنسان، ومعارفه، وأحاسيسه المختلفة.

❁ نشأت الأمثال الشعبية العمانية، بشكل واضح من واقع البيئة العمانية ذات التنوع الجغرافي، صحراوياً وبحرياً وريفياً؛ إذ ارتبطت بالخبرة المهنية للفرد العماني الساكن في تلك البيئات المتنوعة. أما الأمثال الناتجة عن الحكايات التي تدور في خيال القصّاصين من الشعب فتدلّ على مشاركة الناس البسطاء في صياغة الأمثال. وهناك من الأمثال العمانية ما انبنى على الحدث الواقعي. أما الأمثال التي اتخذت صيغة التشبيه فهي – في أغلبها– تفيد المضامين الهجائية.

❁ عمان، الدولة الإسلامية، والشعب المسلم، نهلت من المصادر الدينية الإسلاميّة في نحت أمثالها وحكمها. وقد شاركت في صياغة الأمثال مختلف الطبقات الشعبية، وعكست الأمثال نظرتهم للأمور.

❁ إنّ المثل خلاصة لتجربة استمدها جمهور الشعب من بيئتهم. وهم، كذلك، لم يتركوا الطبيعية بما فيها من الحيوان والبحر والجبل والصحراء إلا واستلهموها في أمثالهم. وتعدُّ بنى الأمثال والحكم الشعبية، منبعاً رئيساً للتعريف بالطبقات الاجتماعية المختلفة من القضاة واللصوص والسارقين والأغنياء.

❁ إن عملية تصنيف الأمثال الشعبية في حقول البنى الموضوعية: الاجتماعية و الأخلاقية والتعليمية والثقافية تسهّل معرفة تجارب عاشها الشعب والمجتمع بتمامها، وتعبّر بشكل واضح عن ثقافة هذا المجتمع وأفكاره، وخصائصه الفردية.

الهوامش والإحالات

(١) بـلال، عمارية (أم سهام)، شظايـا النقد والأدب؛ دراسات أدبية، ط١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩م، ص٤١.

(٢) أمـين، أحمد، قاموس العـادات والتقاليد والتعابير المصريـة، لجنـة التأليـف والترجمـة والنشـر، القاهـرة، ١٩٥٣م، ص٦١.

(٣) إمـس جايكا، لفتنانـت كولونيـل آي، العمانيون؛ حِكَمهم وأمثالهـم الشعبية، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط٢، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ١٩٨٠م، ص٤.

(٤) الأمثـال الشعبيـة العمانيـة واستثمارهـا في اللغـة العربية لإبراهيم البلوشي وفاطمة الحوسنية نسخة PDF علـى الرابط الخاص أدناه وهو موثق مـن وزارة التراث والثقافة في سلطنة عمان:

http://www.alarabiahconference.org/uploads/conference_

(٥) ديـاب، نهـى محمـد، مـن صـور المـرأة العمانيـة في أمثالهـا الشعبيـة، مجلة نزوى، مسقط، العـدد٢٤، أكتوبر، ٢٠٠٠م، وانظـر رابـط البحث على موقـع مجلة نزوى الرسمي، ومن دون وجود رقم الصفحات:

http://www.nizwa.com/%D9%85%D9%86-%D8%B5%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%

(٦) ورقـة بحثيـة أُلقيـت في نـدوة الأمثـال الشعبية، نظمتها لجنة التراث غير المادي بالجمعية العمانية للكتاب والأدبـاء، بالتعاون مع كليـة الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعـة السلطـان قابوس ممثلـة في قسم اللغـة العربية، مايو٢٠١٥م.

(٧) الحميـدي، خليفـة بن عبدالله، أقـوال عمان لكل الأزمان، ج٢وج٣، المنتدى الأدبي، مسقط، ١٩٨٦م.

(٨) جلاوجـي، عز الدين، الأمثـال الشعبية الجزائرية، مديرية الثقافة، سطيف، الجزائر، د ت، ص١١.

(٩) أقوال عمان لكل الأزمان، ج٣، ص٣٤.

(١٠) السابق، ص٢٣.

(١١) السابق، ص٣٨.

(١٢) لاين، فردريش فـون، الحكاية الخرافية، ترجمة: نبيلـة إبراهيم، مراجعة: عز الديـن إسماعيل، دار القلم، بيروت، د ت.

(١٣) أقوال عمان لكل الأزمان، ج٢، ص٤٠.

(١٤) السابق، ص٢٢٧.

(١٥) السابق، ص١٥٩.

(١٦) السابق، ص٢٣٧.

(١٧) السابق، ص٣٥٥.

(١٨) السابق، ص٣٥٦.

(١٩) السابق، ص٣١٩.

(٢٠) السابق، ص٣٢٧.

(٢١) السابق، ص٣٢٧.

(٢٢) السابق، ص٥٨.

(٢٣) السابق، ص٢٧٩.

(٢٤) نفسه، ص٢٧٩.

(٢٥) السابق، ص١٧٥.

(٢٦) المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي(ت٦٥٦هـ)، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق : إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، رقم الحديث: ٣٨٦٣، انظر رابط الحديث الإلكتروني في الموسوعة الشاملة:

http://www.islamport.com/w/akh/Web/2812/951.htm

(٢٧) أقوال عمان لكل الأزمان، ج٣، ص١٧٤.

(٢٨) النووي، يحيى بن شرف أبو زكريا(ت٦٧٦هـ)، شرح النووي على مسلم، دار الخير، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، رقم الحديث: ١٤٦٧، انظر رقم الحديث ونصّه على الرابط الإلكتروني:

http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=4386&idto=4386&bk_no=53&ID=655#docu

(٢٩) أقوال عمان لكل الأزمان ، ج٣، ص١٠٤.

(٣٠) الترمذي، محمّد بن عيسى بن سَوْرة(ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط٢، مطبعة مصطفى الحلبي وشركاه، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ج٤، ص٣٢١، رقم الحديث: ١٩٢٠.

(٣١) قديح، فوزي، الأمثال الشعبية الفلسطينية، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٥م، ص٨.

(٣٢) أقوال عمان لكل الأزمان ، ج٣، ص٢٢١.

(٣٣) السابق، ص٢٤٤.

(٣٤) السابق، ص٣٥٩.

(٣٥) السابق، ص٧٣.

(٣٦) السابق، ص٥٣.

(٣٧) السابق، ج٢، ص٢١٣.

(٣٨) السابق، ص٤٢.

(٣٩) السابق، ص٢٩٦.

(٤٠) السابق، ج٣، ٢٢٠.

(٤١) السابق، ص٢١.

(٤٢) السابق، ج٢، ص٤٩.

(٤٣) السابق، ص٢١٤.

(٤٤) السابق، ص٢٠٨.

(٤٥) السابق، ص٢٢٥.

(٤٦) السابق، ج٣، ص١٥٧.

(٤٧) السابق، ص٢١.

(٤٨) السابق، ج٢، ص١٧٨.

(٤٩) السابق، ص٢٤١.

(٥٠) صلاح الدين، زرال، الظاهرة الدلالية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨م، ص٢٠١.

(٥١) أقوال عمان لكل الأزمان ، ج٣، ص١٦.

(٥٢) السابق، ص٢٥٠.

(٥٣) صباغ، ليلى، المرأة في التاريخ العربي؛ تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م، ص٥.

(٥٤) أقوال عمان لكل الأزمان ، ج٣، ص٢٥٠.

(٥٥) السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٥٦) السابق، ج٢، ص٧٢.

(٥٧) السابق، ج٣، ص١٤٧.

(٥٨) السابق، ص٢٦٠.

(٥٩) السابق، ص١٠٨.

(٦٠) السابق، ص١٤١.

(٦١) مختار عمر، أحمد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، ط١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٤١٩.

(٦٢) أقوال عمان لكل الأزمان ، ج٢، ص٢٥٧.

(٦٣) السابق، ص٢٥٧.

(٦٤) السابق، ص٥١.

(٦٥) السابق، ج٣، ص٢٦٨.

(٦٦) السابق، ج٢، ص٥٨.

(٦٧) السابق، ص١٦٠.

(٦٨) عيسوي، عبد الرحمن، معالم علم النفس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م، ص١.

(٦٩) أقوال عمان لكل الأزمان ، ج٣، ص٨٦.

(٧٠) السابق، ص٢٦.

(٧١) السابق، ص٩٨.

(٧٢) السابق، ص١٠٨.

(٧٣) السابق، ص٢٢٢.

(٧٤) السابق، ج٢، ص٣٠٥.

(٧٥) السابق، ج٣، ص٣١.

(٧٦) السابق، ص٤٠.

(٧٧) السابق، ص٥١.

(٧٨) حلبي، علي عبد الرزاق، ١٩٨٩م، ص٦٥١.

(٧٩) أقوال عمان لكل الأزمان ، ج٣، ص٢٨.

(٨٠) السابق، ص٢٤٥.

(٨١) السابق، ج٢، ص١٦٢.

(٨٢) السابق، ج٣، ص٤٢.

(٨٣) السابق، ج٢، ص١٧٩.

(٨٤) السابق، ج٣، ص٧٨.

(٨٥) السابق، ص٧٩.

(٨٦) حداد، يوسف، المجتمع والتراث في فلسطين؛ قرية البصة، منشورات منظمة التحرير الفلسطينية، د. ط، ١٩٨٥م، ص٢٠.

(٨٧) أقوال عمان لكل الأزمان، ج٣، ص٥٢.

(٨٨) السابق، ج٢، ص٢٩٩.

(٨٩) السابق، ص٢٥٨.

المصادر والمراجع

أولا. الكتب:

* القرآن الكريم.

* إس جايكا، لفتنانت كولونيل آي، العمانيون؛ حِكَمهم وأمثالهم الشعبية، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط٢، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ١٩٨٠م.

* أمين، أحمد، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٣م.

◆ بلال، عمارية (أم سهام)، شظايا النقد والأدب؛ دراسات أدبية، ط١، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٩م.

◆ الترمذي، محمّد بن عيسى بن سَوْرة(ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط٢، مطبعة مصطفى الحلبي وشركاه، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

◆ جلاوجي، عز الدين، الأمثال الشعبية الجزائرية، مديرية الثقافة، سطيف، الجزائر، د ت.

◆ حداد، يوسف، المجتمع والتراث في فلسطين؛ قرية البصة، منشورات منظمة التحرير الفلسطينية، د م، ١٩٨٥م.

◆ الحميدي، خليفة بن عبدالله، أقوال عمان لكل الأزمان، ج٢وج٣، المنتدى الأدبي، مسقط، ١٩٨٧م.

◆ صباغ، ليلى، المرأة في التاريخ العربي؛ تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م.

◆ صلاح الدين، زرال، الظاهرة الدلالية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨م.

◆ عيسوي، عبد الرحمن، معالم علم النفس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.

◆ قديح، فوزي، الأمثال الشعبية الفلسطينية، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٥م.

◆ لايين، فردريش فون، الحكاية الخرافية، ترجمة: نبيلة إبراهيم، مراجعة: عز الدين إسماعيل، دار القلم، بيروت، د ت.

◆ مختار عمر، أحمد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، ط١، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٨٩م.

◆ المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي(ت٦٥٦هـ)، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

◆ النووي، يحيى بن شرف أبو زكريا(ت٦٧٦هـ)، شرح النووي على مسلم، دار الخير، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

ثانيا: الدوريّات:

◆ دياب، نهى محمد، من صور المرأة العمانية في أمثالها الشعبية ، مجلة نزوى، مسقط، العدد٢٤، أكتوبر، ٢٠٠٠م. وانظر رابط البحث على موقع مجلة نزوى ومن دون ذكر للصفحة:

◆ من-صور- المرأة- العمانية- في- أمثالها-الشعبية http://www.nizwa.com/ أو الرابط الإلكتروني مباشرة إلى البحث:

http://www.nizwa.com /%D9%85%D9%86-%D8%B5%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D9%